

محمود محمد طه  
رئيس الحزب الجمهوري

يقدم

# الإسلام

(الطبعة الثانية)

جمادى الأولى ١٣٨٨ هـ  
(وافق أغسطس ١٩٦٨ م)

محمود محمد طه  
رئيس الحزب الجمهوري

يقدم



الطبعة الثانية

جمادى الثانیة ۱۳۸۸ هـ  
(وافق أغسطس ۱۹۶۸ م)

الاهداء

الى الانسانية

## مقدمة الطبعة الثانية

هذا كتاب خرجت الطبعة الاولى منة في مارس عام ١٩٦٠ ،  
وكان الناس يومئذ تحت وطأة « حكم العساكر » لا احوجهم الله  
الى ذكره بالخير ، وقشع الله ، عن امم الارض التى لاتزل بامثاله  
مرزوءة ، سحابة ظلمة وجهله .

ولقد خرج هذا الكتاب عقيب حادث فصل الطلبة الجمهوريين  
الثلاثة من المعهد العلمى ، وما صاحب ذلك الفصل من تشويه  
شديد للفكرة الجمهورية . ولقد حاولنا تصحيح ذلك التشويه  
فلم يتيسر لنا النشر ، ولقد منعنا المحاضرات فى الاندية ، وفى دور  
العلم المختلفة .

خرج هذا الكتاب فى طبعة الاولى مركزا ، شديد التركيز ،  
مضغوطا ، كاشد مايكون الضغط ، ومع ذلك ، فهو الكتاب  
« الام » بالنسبة للحزب الجمهورى .. فيه كل ما نريد ان نقول  
عن الاسلام ، فلم يبق امر مستأنف ، الا ان يكون زيادة شرح ،  
وزيادة توسيع لما جاء فيه موجزا .

والآن ، وقد نفذت الطبعة الاولى ، منذ زمن بعيد ، فانا ندفع  
بالكتاب الى المطبعة لنخرج الطبعة الثانية ، من غير ان نجرى فيها  
تعديلا . اللهم الادخال العناوين الفرعية عليه ، لتكون للقارىء  
متوكأ ، يعينه على حسن متابعة معانيه الدقاق ، من غير املال ،  
ولاسأم .

والله ، وحده ، المسئول ان يجعل هذا الكتاب بشيرا بعودته  
الاسلام ، وعمدة لعودته ..  
انه سميع مجيب

بسم الله الرحمن الرحيم

(( اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى  
ورضيت لكم الاسلام ديناً ))  
صدق الله العظيم

### مقدمة

#### تعالوا الى كلمة سواء

ان الاضطراب الذى نشاهده فى عالم اليوم يرجع الى اسباب  
كثيرة ، ترجع جميعها الى سبب اساسى واحد ، هو مدى الخلف  
بين تقدم العلم التجريبي ، وتخلف الاخلاق البشرية .  
ان العلم التجريبي الحديث قد رد مظاهر المادة المختلفة ، التى  
تزخر بها العوالم جميعها ، الى اصل واحد ، فاذا لم ترتفع قواعد  
الاخلاق البشرية الى هذا المستوى ، فترد جميعها الى اصل  
واحد ، فأن التواءم بين البيئة الطبيعية ، وبين الحياة البشرية ،  
سيظل ناقصا ، وسيبقى الاضطراب الحاضر مهددا الحياة  
الانسانية على هذا الكوكب بالعجز ، والقصور ، فى اول الامر ،  
ثم بالفناء والدثور ، فى آخر الامر . . .

#### العلم المادى التجريبي

اما عن العلم التجريبي فاستمع الى العالم العربى الكبير  
الدكتور احمد زكى يحدثك فى كتابه مع الله فى السماء تحت  
عنوان « لو افترط هذا الكون » فيقول : -

( ثم نعود الى الكون ، ان هذه عناصر الارض ، وهذه مركباتها ، وهى كل شىء فيها ، وقد بناها بانيتها من لبنات ثلاث :  
الكروونات فيروتونات فينيترونات •  
وتحدثنا عن الكواكب السيارة ، فقلنا ان عناصرها من عناصر  
الارض ••

وتحدثنا عن النجوم ، فقلنا ان عناصرها من عناصر الارض ،  
تستوى فى ذلك نجوم فى مجرتنا هذه ، دنيانا ، سكة التبانة ،  
ونجوم فى مجرات نركب اليها الضوء فلا نبلغها الا بعد مئات  
الملايين من السنين ••

الكون اجمع اذن يتألف من عناصر هى بعض هذه التسعين •  
الكون اجمع اذن يتألف من تلك اللبنات الثلاث ••

فلو اتنا امرنا الارض ان تنفرط عقدها : امرنا اجسام  
الانسان ان تنفرط ، واجسام الحيوان ، واجسام النبات ، واجسام  
الصخر بهذه الارض ، والصخور بهذه الكواكب ، وامرنا كل  
غاز الشمس ان ينفرط ، وان تنفرط غازات النجوم جميعها ، ما  
قرب منها وما بعد ، واختصارا أن ينفرط كل شىء فى الوجود :  
لنتج عن انفراطه كمات هائلة ثلاث من : الكروونات -  
وبروتونات - ونيوترونات ، فهل فى معانى الوحدة ابلغ من  
هذا المعنى ؟ ونقول ثلاث لبنات ، وهل هى حقا ثلاث ؟ وفى  
الوقت الذى ترد فيه المادة الى ثلاث لبنات ، يرد العلماء «القوى»

الى أصل واحد : الضوء ، الحرارة ، الاشعة السينيه ، الاشعة  
اللاسلكية ، الاشعة الجيمية ، وكل اشعاع في الدنيا ، كلها صور  
متعددة لقوة واحدة ، تلك القوة المغناطيسية الكهربائية ، انها  
جميعا تسير بسرعة واحدة ، وما اختلافها الا اختلاف موجة .  
المادة ثلاث لبنات ، والقوى موجات متآصلات . .

ويأتى أينشتين ، وفي نظريته النسبية الخاصة ، يكافئ بين  
المادة والقوى . .

ويقول : ان المادة ، والقوى ، شىء سواء ، وتخرج التجارب  
تصدق دعواه ، وخرجت تجربة أخيرة صدقت دعواه بأعلى صوت  
سمعته الدنيا : ذلك انفلاق الذرة في القنبلة اليورانيومية . .  
المادة والقوى ، اذن ، شىء سواء .

فماذا بقى من اشياء هذا الكون ؟  
بقيت الجاذبية ، ذلك الرباط الذى يربط الكون أجمع ،  
وبقى المكان SPACE ، وبقي الزمان ، ويحاول أينشتين  
ان يوحد بينها ، ان يربط بينها ،

وهو في نظريته، نظرية النسبية العامة، يربط بين الزمان والمكان ،  
فيجعل منهما شيئا متواصلا ، غير متفاصل وفي نظريته الجديدة ،

نظرية الحقل الواحد UNITED FIELD THEORY

يهدف أينشتين الى أن يثبت ان القوى المغناطيسية الكهربائية ،  
تلك التى تتمثل فى الضوء والحرارة وصور الاشعاع عامة ، هى  
وقوى الجاذبيه شىء سواء

واقول السواء وما اعنى به السوية . ولكتى اعنى انهما فى  
الاصول فى اعماق الحقيقة الطبيعية ، متواصلان ، قال اينشتين :  
« ان روح العالم النظرى لا تحتل ان يكون فى الوجود الواحد  
شكلان للقوى لا يلتقيان ، شكل للجاذبيه القياسية ، وشكل  
للمغناطيسية الكهربائية »

وهكذا ، يتحلل المركب ، ويتبسط المعقد ، وتتساكل  
الحقائق التى تستر وراء الظواهر المختلفة ، وتتشابه ، وتجتمع  
كلها لتصب فى مجرى واحد ، تلك الوحدة العظمى التى تجرى  
فى الكون اجمع ، ولكن ، هل قضى الانسان من ذلك وطرا ؟  
ان الانسان مازال يتساءل : وما وراء كل هذا ؟

ان الانسان ان كان وجد جوابا لبعض « كيف » تساءل  
عنه ، فهو مازال يتساءل « لماذا » وهو يسأل فى شىء من الهلع  
الفكرى ، والتقديس الدينى ، قال اينشتين : « ان اعظم جائشه  
من جائشات النفس واجملها تلك التى تستشعرها النفس عند  
الوقوف فى روعة امام هذا الخفاء الكونى ، والاضلام ، ان الذى  
لا تعجش نفسه لهذا ولا تتحرك عاطفته ، حى كميته ، انه خفاء  
لا نستطيع ان نشق حجبته ، واضلام لا نستطيع ان نطلع فجره ،  
ومع هذا نحن ندرك ان وراءه شيئا هو الحكمة ، احكم ما  
تكون ، ونحس ان وراءه شيئا هو الجمال ، اجمل ما يكون ،  
وهى حكمة ، وهو جمال ، لا نستطيع ان تدركهما عقولنا الباصرة ،  
الا فى صور لهما بدائيه اوليه ، وهذا الادراك للحكمة ، وهذا



الاحساس بالجمال ، في روعة ، هو جوهر التعبد عند الخلائق»  
ويقول اينشتين ، وهو اعلم علماء الارض في الكون وظواهره ،  
واحقهم بالكفر ، ان كان علم يدعو الى كفر ، واولاهم باتباع ما  
اعتاد بعض علماء الغرب ومقلدوهم من اهل الشرق ، من اغفالهم  
ذكر الله ، يقول اينشتين : « ان الشعور الدينى الذى يستشعره  
الباحث في الكون ، هو اقوى حافز على البحث العلمى ، وانبل  
حافز » وهو يقول : « ان دينى هو اعجابى ، في تواضع ، بتلك  
الروح السامية التى لا حد لها ، تلك التى تتراءى في التفاصيل  
الصغيرة القليلة التى تستطيع ادراكها عقولنا الضعيفة العاجزة ،  
وهو ايمانى العاطفى العميق بوجود قدرة عاقلة ، مهيمنة ، تتراءى  
حيثما نظرنا في هذا الكون المعجز للفهام ، ان هذا الايمان  
يؤلف عندى معنى الله » (١) انتهى حديث الدكتور العالم  
احمد زكى

### الفيزيقيا وسيلة الى الميتافيزيقيا

فأتم ترون ، من هذا الحديث ، كيف رد العلم التجريبي  
الظواهر المختلفة الى أصل واحد ، وكيف حمل هذا العلم اكبر  
علمائنا المعاصرين - اينشتين - ليقول هذه الكلمة الخالدة ، التى  
أوردناها في آخر ما أقتبسناه من كتاب الدكتور احمد زكى ،  
فكان العلم التجريبي لا يريد ان يكتفى بأن يظهر لنا وحدة  
العالم المحسوس ، وانما يذهب الى أبعد من ذلك ، فيرينا كيف  
ان العالم المحسوس ، اذا أحسن استقصاؤه ، يسوقنا الى عتبة

عالم وراءه ، غير محسوس ، ويتركنا هناك وقوفا ، في خشوع ، واجلال ، نلتمس وسائل ، غير وسائل العلم التجريبي المادي ، بها نهتدي في مجاهيل الوادي المقدس ، الذي يقع وراء عالم المادة أقرأوا ، مرة ثانية ، الكلمة الخالدة التي حمل العلم التجريبي المادي الحديث أكبر علمائنا المعاصرين على قولها !! وأقرأوا ، بشكل خاص ، قوله فيها « وهو أيمانى العاطفى ، العميق ، بوجود قدرة عاقلة ، مهيمنة ، تتراءى حيشما نظرنا ، في هذا الكون المعجز للفهام » !!

ان العالم المادي انما هو بمثابة الظلال للعالم الروحي ، او قل بتعبير ادق ، ان المادة روح ، في حالة من الاهتزاز تتأثر بها حواسنا ، وان الروح مادة ، في حالة من الاهتزاز لا تتأثر بها حواسنا ، فالاختلاف ، على ذلك ، بين عالم المادة ، وعالم الروح هو اختلاف مقدار وليس اختلاف نوع ، وهذا يفتح الباب على الوحدة . . وحدة جميع العوالم

وحين ينتهى بنا العلم التجريبي المادي الى رد جميع ظواهر الكون المادي الى وحدة هي « الطاقة » ، يبرز لنا من جديد ، وبصورة خلاصة ، العلم التجريبي الروحي ، ليتولى قيادتنا في شعاب الوادي المقدس ، الذي يقع وراء المادة ، ونستطيع ، بمواصلة البحث والاستقصاء ، في العلم التجريبي الروحي ، ان نرى هل يمكن ان ترد ظواهر الاخلاق البشرية الى اصل واحد ، كما ردت ظواهر الكون المادي الى اصل واحد ،

ويتم بذلك الاتساق ، والتلاؤم ، بين سلوك البشر ، وبين البيئة .  
المادية التي يعيشون فيها ، فينتهى بذلك القلق الحاضر ، ويعمم  
الأرض السلام ؟؟

## الدين والعلم توأمان

والعلم التجريبي الروحى ليس جديدا ، وإنما هو قديم قدم  
العلم المادى ، وبحق ، انهما توأمان ، ولدا فى وقت واحد ،  
ودرجا معا ، وظلا يتعاونان فى مدارج النمو ، فأن الانسان الاول  
عندما وقف على رجليه ، لأول مرة ، امام قوى الكون المادى  
الهائلة امتلا قلبه بالخوف ، والتقديس ، فاما القوى التى  
اخافته هونا ما ، واستطاع مناجزتها فقد هدته الى العلم التجريبي  
المادى ، وأما القوى التى أسترهته ، واستغرقت خشيته ، فقد  
تزلف اليها ، وتملقها ، وهدته بذلك الى العلم التجريبي الروحى  
ونحن نسمى هذين التوأمين اليوم ، العلم ، والدين ، وقد قفز  
العلم قفزة واسعة جدا فى العصر الحديث ، وتخلف الدين ،  
وبذلك حدث الاختلال فى التوازن ، وظهر الاضطراب ، والقلق  
الذى اشرنا اليه ، فى صدر هذه الكلمة ، وليس الى اعادة  
التوازن من سبيل ، ألا اذا قفز الدين هذه القفزة الجريئة نفسها ،  
فرد قواعد الاخلاق البشرية الى أصلها الاصيل ، على نفس  
النحو ، وبنفس القدر ، الذى به ردت مظاهر الكون المادى الى  
أصلها الاصيل ♦ ♦

## الفهم الذرى للدين يجعله يناسب عصر الذرة

• • نعم فالعلم التجريبي الروحي — الدين — ليس جديدا ولكنه سيعود جديدا ، لان عصر الذرة يتطلب فهما ذريا للدين — اعنى فهما دقيقا ، يصل الى نواة الدين ، ويفجر تلك النواة تفجيرا يسمع له دوى اعنى من دوى تفجير النواة المادية ، ولقد سائر الدين طفولة البشرية في سحيق الاماد ، واحسن مسايرتها ، وكان بها رفيقا ، شفيقا ، يمد لها فى الاوهام . والاباطيل ، التى كانت تكتنف تفكيرها ، ريشا ينقلها ، على مكث ، وفى اناة ، من وهم غليظ ، الى وهم ادق ، ومن باطل غليظ الى باطل ادق ، وهكذا ، دواليك ، حتى قطعت الانسانية عهد الطفولة ، ووقفت اليوم ، فى طور المراهقة ، تستشرف الى عهد الرجولة ، والاكتمال واصبح على الدين دور جديد ، هو ان يقفز بالانسانية عبر هذا الطور القلق الحائر المضطرب — طور المراهقة — ليدخل بها عهد الرجولة ، والاكتمال . ولما كان الفرق بين الطفل والرجل كبيرا شاسعا ، فالرجل يتحمل مسئولية عمله ، بينما الطفل يطلب الحماية من تلك المسئولية ، فقد أصبح على الدين ، منذ اليوم ، الا ينبى على الغموض ، والا يفرض الاذعان ، على نحو ما كان يفعل فى عهود طفولة العقل البشرى • • وانما يجب عليه ان يقدم منهاجا متكاملا للحياة ، يخاطب العقل ، ويحترمه ، ويحاول اقناعه بجدوى ممارسة ذلك المنهاج فى الحياة اليومية، فى كل مضطربها

## الارادة البشرية مادة الدين

والعلم التجريبي الروحي — الدين — مادته الطاقة ، أيضا ، ولكنها في هذه الحالة « الارادة » البشرية • • هل هي « مخيرة » ام « مسيرة » كالطاقة المادية ؟؟ ونحن الفنا ، عند التحدث عن الدين ، ان نتحدث عن اديان التوحيد والوثنيات التعدديات ، والحقيقة ان البشر ، في جميع عصورهم ، لم يعبدوا غير هذه الارادة البشرية ، وهذا يفسر لنا السر في ان جميع الاوثان كانت تنحت على شكل الهيكل البشرى • • وحتى اليوم ، وفي ارقى الاديان التوحيدية ، واعنى به الاسلام ، فان ارقى معتقيه يعبدون من دون الله الها آخر ، هو « ارادتهم البشرية » ولكنهم لا يفتنون الى ذلك ، ويظنون أنهم يخلصون صنعا • • ويسخرون من باقى عباد الله من اصحاب الملل الاخرى • فلو أنهم تفتنوا الى حقيقة أمرهم اذن لاشتغلوا ، عن الزراية على الآخرين ، بتحصيل مافاتهم ، هم • •

ان العالم الطبيعي الكبير ، اينشتين ، يقف عاجزا ، حائرا ، على عتبة معضلة الجبر ، والاختيار ، ويقول ، فيما يحدثنا الدكتور احمد زكى : « ان دينى هو اعجابى ، فى تواضع ، بتلك الروح السامية ، التى لا حد لها ، تلك التى تتراءى فى التفاصيل الصغيرة ، القليلة ، التى تستطيع أدراكها عقولنا الضعيفة ، العاجزة ، وهو ايمانى العاطفى ، العميق ، بوجود قدره عاقلة ، مهيمنة تتراءى ، حيثما نظرنا ، فى هذا الكون المعجز للفهام ،

ان هذا الايمان يؤلف عندى معنى الله « ونحن، بعلمنا التجريبي  
الروحي ، نبدأ من حيث انتهى هذا العالم الجليل بعلمه التجريبي  
المادى ، ومع انه واضح ان اينشتين قد قرر الجبر ، وذلك بقوله :  
« وهو ايمانى العاطفى ، العميق ، بوجود قدرة عاقلة ، مهيمنة ،  
تترأى ، حيثما نظرنا ، فى هذا الكون المعجز للافهام » ، الا انه واضح  
أيضا انه يتساءل تساؤلا صامنا : ماهى هذه القدرة العاقلة  
المهيمنة ؟؟ وما مدى هيمنتها ؟؟ ونعتقد ان الاجابة على هذين  
السؤالين هى الاجابة على مسألة الجبر والاختيار ، وبها ترد  
مظاهر الاخلاق البشرية الى اصل واحد ، كما ردت من قبل مظاهر  
الكون المادى الى اصل واحد .

قلنا ان العلم التجريبي المادى ، والعلم التجريبي الروحي توأمان  
ولدا فى يوم واحد ودرجا فى مراقى الحياة معا ، على تواد حينه  
وعلى تدابير حينه ، ولكن على تعاون فى جميع الاحيان ومادة العلم  
التجريبي المادى الكون المادى ، وان كانت الارادة البشرية تتدخل فيه ،  
ووسيلته المعادلات الرياضية ، ومعدات التجارب فى المعامل .  
ومادة العلم التجريبي الروحي الكون المادى . والارادة البشرية  
معا ، ووسيلته القرآن ، ومعدات العبادة ، فى الخلوات ، والجلوات ،  
وانتم ترون ، من هنا ، ان الدين الذى اعنيه فى صدر حديثى هو  
الاسلام . واحب ان اعترف انى بدأت عن تصديق ، لانى ولدت  
من ابوين مسلمين ، ولكن التصديق لم يبلغ بى درجة التعصب  
والعمى ، فيلتوى بنتائج تجربتى وانما استطعت ، بتوفيق الله ،  
ان اسير مفتوح العينين ، الى النتائج التى رسخت تصديقى

البدائي ، وانتقلت بي الى اليقين .

## وسائل العلم التجريبي الروحي

ولا بد من كلمة قصيرة عن وسائل التجربة الدينية ، وأولها وأولاهها ، القرآن ، ونحن نسمع الناس يقولون ان القرآن كلام الله ، فما معنى هذا ؟ ان الله ليس كأحدنا ، وليس كلامه ككلامنا ، بأصوات تنسل من الحناجر ، فتقرع الآذان . . أن كلام الله خلق . . فالشمس تطلع ، وترسل الصوء ، والحرارة . فبخر الحرارة الماء ، وتثير الرياح ، وتحرك الهواء ، وتحمل الرياح بخار الماء ، في سحب كثيفة ، الى بلد بعيد ، فينزل المطر . فيروى الارض ، ويحييها بعد موتها ، فينبت الزرع ، وتلدب الحياة ، بمختلف صورها ، وشكلها . . هذه صورة موجزة . قاصرة ، مفككة الحلقات ، لكلام الله . فالقرآن صورة هذا الكلام ، او قل هذا العلم ، مفرغ في قوالب التعبير العربية . . ويظن كثير من كبار العلماء ان القرآن هو اللغة العربية ، وذلك خطأ شنيع . . وهو خطأ جعلهم يلتبسون معاني القرآن في اللغة العربية ، فأنحببوا بالكلمات ، وهم يظنون انهم على شيء . . واللغة اساسا ، نشأت بدوافع الحاجة اليومية ، في الحياة الجسدية فهي ، مهما تطورت ، فانها تعجز ، كل العجز ، عن تحمل معنى كلام الله . وهي ، على خير حالاتها ، لا تقوم منه الا مقام الرمز ، والاشارة . . والقرآن لا يدع لنا مجالا للشك طويلا ، فهو يقول « الم » ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين » والاشارة هنا « بذلك » الى « الم »

ثم تجيء الوسيلة الثانية ، وهى تحقيق « لا اله الا الله محمد رسول الله » وتحقيقها يبدأ بالثقة بمحمد ، وبتصديقه التام ، وبتقليده المتقن ، فى اسلوب عبادته ، وفيما تيسر من اسلوب عاداته ، ويشمل تقليده كل ما صح عنه ، بعد بعثه ، وقبله ، اثناء تحننه فى غار حراء ، ولست أريد ان اطيل هنا ، فان الايجاز فى ذلك يكفى ، على الاقل فى هذه العجالة ، وقد اعود فى وقت آخر ، ومجال آخر ، للافاضة فى القول . .

قلت ان مادة العلم التجريبي الروحى الكون المادى ، والارادة البشرية . . والحق ان غاية العلم الروحى بالكون المادى ، فى جميع صورهِ ، هى فى مرتبة الوسيلة ، فى حين ان غايته بالارادة البشرية فى مرتبة الغاية ، ولذلك يقول القرآن « سريهم آياتنا فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق ، أو لم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ؟ » وفى العلم الدينى ان الارادة البشرية هى صورة مصغرة للكون المادى ، المنظور منه ، وغير المنظور . فنحن كلما كونا لافكارنا صورة صحيحة عن الكون المادى ، كلما انبعثت ، بمقابل هذه الصورة الكونية ، صورة تضارعها ، فى الصحة والدقة ، عن حقيقة ارادتنا ، أو قل شخصيتنا الفردية ، ولذلك فان القرآن يقول « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » بنفس الصيغة التى يقول لنا بها « واقم الصلاة » . .

### ماهى الارادة البشرية

ويمكن القول اذن بأن موضوع العلم التجريبي الروحى هو



الارادة البشرية • • فما هي هذه الارادة البشرية ؟؟ سنرجى  
 الاجابة على هذا السؤال الى وقت قريب ، ونعالج في ايجاز  
 الاجابة على تساؤل العالم الكبير أينشتين ، - ما هي هذه القدرة  
 العاقلة المهيمنة ، وما مدى هيمنتها ؟ فأما السؤال الاول فان القرآن  
 يخبرنا بأنها ذات الله « أو لم يروا الى ما خلق الله من شئ »  
 يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله ، وهم داخرون ؟؟ »  
 وأما السؤال الثانى فان القرآن يجيبنا عليه « انى توكلت  
 على الله ، ربى وربكم ، ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ، ان  
 ربى على سراط مستقيم » وهكذا فان هيمنته تعالى على الوجود  
 هيمنة تامة ، لا يخرج عنها صغير ، ولا كبير ، من الخلائق ، فى  
 دقيق ، ولا جليل ، من حركاته ، وسكونه • •

### ارادة الحياة دون ارادة الحرية

ولكن الله تعالى سير الجمادات ، والغازات ، والسوائل ،  
 تسييرا قاهرا ومباشرا ، ثم خلق الحياة فى مراتب النبات ،  
 والحيوان ، فسيرها « بأرادة الحياة » ، وهى أرادة تعمل بدوافع  
 البقاء للاحتفاظ بالحياة • • وقانونها اجتلاب اللذة ، ودفع  
 الألم ، واصبح تسيير الله تعالى للمخلوقات فى هذا المستوى من  
 وراء حجاب « ارادة الحياة » التى تتمتع بما يسمى الحركة  
 التلقائية ، لان دوافع حركتها ، وقوى حركتها كالمودعة فيها • •  
 ثم لما أرتقى الله تعالى بالحياة الى مرتبة الانسان زاد عنصر جديد  
 على « أرادة الحياة » ، هذا العنصر هو « أرادة الحرية » ، وهو  
 عنصر يختلف عن ارادة الحياة اختلاف مقدار ، لا اختلاف نوع • ثم

سير الله تعالى البشر بأرادة الحياة ، وأرادة الحرية معا ، واصبح  
بذلك تسييره أيانا غير مباشر ، وتدخله في أمرنا ، هو من اللطف  
والدقة ، بحيث تورطنا في الوهم الاكبر ، وذلك باعتقادنا أننا  
نملك أراده حرة ، مستقلة بالترك او العمل . . . واليكم آية  
هي آية في الدلالة على لطف تدخل أرادة الله في توجيه ارادتنا :  
« اذ يريكم الله في منامك قليلا ، ولو اراكم كثيرا لفشلتم ،  
ولتنازعتم في الامر ، ولكن الله سلم ، انه عليم بذات الصدور \*  
واذ يريكموهم ، اذ التقيتم ، في أعينكم قليلا ، ويقللكم في أعينهم  
ليقضى الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور » فانظروا  
الى هذا اللطف اللطيف من جانب الارادة الالهية القديسة . اذ  
تدخل في تسيير الارادة البشرية المحدثه !!

### الارادة البشرية هي ارادة الحرية

فالنبي يرى اعداءه في منامه قليلين ، فيصمم على مقاتلتهم ،  
ولو رآهم غير ذلك مقاتلهم ، ثم ، عند اللقاء ، يرى فريق المؤمنين  
فريق المشركين قليلا ، فيصمموا على قتالهم ، ويرى فريق المشركين  
فريق المؤمنين قليلا ، فيصمموا ، بدورهم ، على قتالهم ، والله هو  
الذي يرى النبي اعداءه ، في منامه ، قليلا ، والله هو الذي يرى  
كل فريق من الفريقين اعداءه قليلا ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا .  
كل ذلك من غير أن تنزعج الارادة البشرية ، ومن غير ان تشعر  
بتدخل خارجي في أمر من أمورها ، فالارادة البشرية هي « ارادة  
الحرية » هذه ، وبها تميز الانسان عن الحيوان ، وهي الارادة  
التي بممارستها عصى آدم ربه ، اذ نهاه عن أكل الشجرة ، فقال

الله تعالى فيه « فاكلا منها ، فبدت لهما سوءآتهما ، وطفقا  
يخضفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى » وقال  
تعالى عنه محذرا رسوله من استعمال هذه الارادة الخادعة ،  
« استعمالا مخدوعا ، كما اتفق لايه من قبل ، » فتعالى الله الملك  
الحق ، ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه ، وقل  
رب زدنى علما • ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنى ، ولهم نجد  
له عزما • « بدأ الآية بقوله » فتعالى الله الملك الحق « ، تذكيرا  
بأن الله متفرد بالارادة الكاملة ، وان الارادة البشرية يجب أن  
تذعن لارادته ، وتنقاد ، عن استسلام ، وعن رضا ، فلا تعجل  
أمرا قبل ان يجيء وقته ، لان « الله لا يعجل بمعجلة احدكم »  
كما قال المعصوم • والارادة البشرية ، أو « ارادة الحرية » ،  
قبس من الله العظيم ، واليها الاشارة بقوله تعالى « اذ قال ربك  
للملائكة انى خالق بشرا من طين ، فأذا سويته ، ونفخت فيه من  
روحي ، فقعوا له ساجدين » فكلمة « سويته » اشارة الى  
« ارادة الحياة » وعبارة « ونفخت فيه من روحي » اشارة الى  
« ارادة الحرية » • •

### معانى القرآن صور تؤدي بالكلمة

واحب ان انبه القارئ الى ماسبق تقريره عن القرآن من  
انه كلام الله بمعنى أنه صورة لفظية لايجاد الله الوجود ، وخلق  
الخلق فى الزمان والمكان ، والآيتان السابقتان مثل بليغ فى هذا ،  
فان الاشاره الى « الطين » تعنى الخلق فى طور الجمادات ،  
والسوائل ، والغازات ، تلك التى قلت ان الله سيرها تسيرا

مباشرا ، والاشارة بكلمة « سويته » تعنى الخلق ، فى طورى  
النبات ، والحيوان ، بجميع صورته ، وهو ما قلنا ان الله سيره ،  
بارادة الحياة ، تسيرا شبه مباشر ، والاشارة بقوله « ونفخت  
فيه من روحي » تعنى الخلق فى مرتبة الانسان ، وهو ما قلنا ان  
الله سيره ، بارادة الحرية ، تسيرا غير مباشر . . . وهذه الآيات  
الثلاث أوضح فى الدلالة على حقيقة القرآن ، استمعوا اليها  
« الذى أحسن كل شئ خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين \* ثم  
جعل نسله من سلالة من ماء مهين \* ثم سواه ، ونفخ فيه من  
روحه ، وجعل لكم السمع ، والابصار ، والافئدة ، قليلا ما  
تشكرون »

وهذا الخلق ، والايجاد ، استغرق آمادا سحيقة ، فى الزمان  
والمكان ، وهو صورة من التطور الذى يتبع بعضه بعضا ، فى  
حلقات متصلات ، والتسير الذى أشرنا الى أنه شبه مباشر فى  
مرتبة النبات ، والحيوان ، وغير مباشر فى مرتبة الانسان ، انما  
هو بالصراع بين الاحياء فيما بينها ، وبين الاحياء والبيئة الطبيعية  
التى وجدوا فيها . وارهدة الحرية ماذا تريد ؟ تريد الحرية . . .  
والحرية المطلقة من كل قيد ، ولكن الحرية لها ثمن ، وهو ان  
يتحمل الحر نتائج عمله ، والااصبحت الحرية فوضى . . وادنى  
مراتب الحرية المطلقة هى ان يفكر الرجل كما يريد ، وان يقول  
كما يفكر ، وان يعمل كما يقول ، بشرط الايتدخل حريته فى حريات  
الآخرين .

ولما كانت الحياة مسيرة بارادة الحياة ، قبل ظهور البشر على مسرحها ، كان قانونها اللذة ، بكل سبيل ، ثم لما ظهر البشر ، ودخلت ارادة الحرية لتعمل عملها في التسيير ، ظهر المجتمع البشرى وظهرت القيم ، التي تجعل الفرد يضحي باللذة الحاصره ، في سبيل لذة مرتقبة ، أو يضحي باللذة الحسية ، في سبيل لذة معنوية ، وبمعنى آخر ، دخل تشريع الحلال والحرام ، أو ، ان اردت الدقة ، فقل العرف الذي يحرم امورا ، ويحلل امورا اخرى ، في سبيل غاية بعينها ..

## نشأة المجتمع والقانون ونشأة الاسلام

والقصة ، في ايجاز ، هي ان الفرد البشرى لما وجد نفسه امام قوة طبيعية عنيفة هائلة ، لا قبل له بها ، وضح له انه لابد له من الالتجاء الى جملة حيل بها يستطيع ان يحافظ على حياته ، فبنى البيوت فوق الاشجار ، وعلى قمم الجبال ، وفي الاماكن المحصنة الاخرى . واتخذ الآلة ، من الخشب ، والحجر ، وادخر طعامه ثم اهتم الى اكبر اختراع في الوجود ، وهنؤ المجتمع . ولكي يكون المجتمع ممكنا قام العرف ، الذي هو القانون الاول ، ولربما يكون اول عرف نشأ هو العرف الذي ينظم العلاقات الجنسية ، فيحرم الاخت على الاخ ، ويحرم البنت على الاب ، ويحرم الام على الابن ، الخ الخ . واعان هذا العرف على تهدئة الغيرة الجنسية ، التي كانت تفرق الاسرة البشرية كلما بلغ الابناء فيها مبلغ الرجال . فقد اصبح ، بعد هذا العرف ، من الممكن ان يتعايش في منزل واحد ، وفي منازل متجاورة ، الاب ، والابن

البالغ ، والصهر ، والابن المتزوج ، وكل منهم آمن على زوجته من الآخرين . ولربما يكون العرف الذى ينظم احترام الملكية الفردية قد نشأ مع هذا العرف ، من الوهلة الاولى . فانه ، فى المجتمعات البدائية ، لا فرق ، كبيرا ، بين ملكية الزوجة ، وملكه الآلة ، او الكهف ، واذا كان لابد للمجتمعات الصغيرة ان تعيش فى وئام ، تصيد معا ، وتحارب معا ، وتقابل صروف الايام متحدة ، فانه لابد من هذين العرفين اللذين ينظمان السلوك فى الجماعة ويصونان كيانهما . وليس معنى هذا ان المجتمعات نشأت بصورة واحدة فى كل مكان ، ولكنه ، مما لاشك فيه ، ان المجتمع البشرى ، حيث نشأ ، فقد نشأ حول طائفة من العادات ، والعرف ، الذى ينظم علاقة الافراد ببعضهم البعض ، وبهذا العرف دخلت ارادة الحرية فى صراع مع ارادة الحياة ، ذلك بان الفرد البشرى قد رضى ، طوعا او كرها ، ان يتنازل للمجتمع عن قسط من حريه ليستمتع بباقيها ، بفضل حياته فى مجتمع يحميه ، ويعينه . وتنازله ، عن هذا القسط من حريته ، ينظمه العرف ، وما تفرضه اوضاع مجتمعه ، واصبح عليه ان يسيطر على نفسه ، وان يمنعها مما يمنعها منه القانون ، الذى سنه مجتمعه ، . وكلما اتصر الفرد ، فى هذا الصراع ، على غرائزه البدائية ، كلما قويت ارادته ، وانتقلت لذاته ، من اللذة الحسية عاجلة المحرمة ، الى اللذة الحسية التى ينظمها العرف ، ويقرها ، بعد استيفاء قواعده ، او قد تنتقل لذته من حسية عاجلة ، الى معنوية عاجلة ، او مؤجلة كرضا المجتمع عنه ، وثنائه عليه ، او كرضا الالهة عنه ، ومجازاتها

ايام ، في هذه الحياة ، او في الحياة المقبلة . ولما كان الفرد  
البشرى الاول غليظ الطبع ، قاسى القلب ، حيوائى النزعة ، فقد  
احتاج الى عنف عنيف لترويضه ، وكذلك كان العرف الاجتماعى  
شديدا ، عنيفا ، الى الحدود التى تضحي بحياة الافراد على مذابح  
معابد الجماعة ، استجلابا لرضا الالهة ، او دفعا لغضبها . وهذا  
العنف العنيف اضطر الفرد البشرى ليسيطر على نزعاته ،  
وليكتب فى صدره كثيرا من رغائبه التى لا يفهم عليها العرف ،  
ولا ترضاها الالهة ، وفى نفس الوقت الذى خدم فيه العرف الاول  
الفرد بان قوى ارادته ، وسيطرته على نفسه ، خدم المجتمع بان  
صان حقوقه ، وجعل تماسكه ، وتضامنه . ممكنا : ولقد سار  
المجتمع من تلك البداية سيرا وئيدا وسار معه الافراد ، وكلما  
تسرقى المجتمع ، كلما قلت التكاليف الباهظة التى يفرضها على  
حريات افراده ، بواسطة عرفه ، وقوانينه ، وأديانه ، وسرى ذلك ، بعد  
قليل ، عند الحديث عن مرحلتى اليهودية والاسلام . ومنذ نشأه  
العرف الاول نشأ الاسلام ، وذلك لان الفرد البشرى بدأ فى  
هذا الطور يدرك ان ارادته ليست حرة ، وان كان هذا الادراك  
يكاد يكون لا شعوريا . . . ولست اريد ان اتابع مراحل الاسلام  
من هذه البدايات ، ولكنى ساقفز قفزة واحدة الى مراحل الثلاث  
الاخيرة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، فاتحدث عنها فى شىء  
يسير من الاطناب ، ذلك لان هذه العجالة لا تحتل التطويل ،  
ولكنى ، قبل ان انصرف الى هذه المراحل ، اناقشها ، احب ان  
اقرر هنا ان الاسلام ، كدين ، فكرة واحدة كبيرة ، تشمل البداية

والنهاية ، وقد بدأ يوم بدأ الصراع بين ارادة الحياة، وأراده الحرية ، وهو ما اسماه بنشأة العرف ، وهذه الفكرة لا تزال تواصل سيرها ، وستبلغ نهايتها على هذا الكوكب يوم يحقق الافراد البشريون السلام ، كل مع نفسه، وذلك بتسليم ارادتهم المحدثه ، الى الارادة القديمة . وسنعود الى هذه العبارة في نهاية هذه العجالة . ولتقرير ان الاسلام ، كدين في عمر البشرية ، فكرة واحدة ، كبيرة ، تشمل البدايةوالنهاية، يمكن ان ننظر في الاسلام في عمر الفرد البشري ، فانه من المقرر ان حياة الفرد البشري تحكى ، بصورة عاجلة ، حياة النوع كله . فالاسلام ، في عمر الفرد البشري ، يبدأ بالقول باللسان ، والعمل بالجوارح ثم يترقى حتى يصبح ادعانا واعيا، وانقيادا راضيا، بارادة الله وحسن تدبيره . واول مراتب ترقيه ، بعد الاسلام ، الايمان، ثم الاحسان بمراتبه الثلاث ثم الاسلام من جديد وهذه الايات الكريمةات تفيدنا في هذا الباب « قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا اسلمنا ، ولما يدخل الايمان في قلوبكم » . فالاسلام هنا هو البداية التي هي مرحلة دون مرحلة الايمان . ثم اسمع هذه الاية الكريمة : « ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ، حق تقاته ، ولا تموتن الا وאתم مسلمون » والاسلام هنا هو نهاية المطاف ، ولقد ندب اليه المؤمنون فلم يطيقوه . فلما بدا عجزهم خفف الله عنهم فنزل « فاتقوا الله مااستطعتم ، واسمعوا واطيعوا » فاستبدل لهم تقوى الله حق تقاته بما يطيقون ، واستبدل لهم الاسلام ، الذي هو تسليم الارادة المحدثه الى



الارادة القديمة : « ومن يسلم وجهه الى الله ، وهو محسن ،  
فقد استمسك بالعروة الوثقى » استبدل لهم هذا الاسلام بالسمع  
للنبي ، والطاعة ، وهى مرتبة سامية ، ولا ريب ، ولكنها دون  
الاسلام الذى عناء الله بقوله « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن  
يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين »

### **الاسلام بين اليهوديه والنصرانية**

وهذه الفكرة الاسلامية الكبيرة جاءت مرحلة اليهودية فى  
طرف البداية منها ، وجاءت المسيحية فى طرف النهاية ، وجاء  
الاسلام وسطا بين اليهودية والنصرانية . فان المسيح قد قال  
لتلاميذه : « لاتظنوا انى جئت لانقض التاموس ، او الانبياء . .  
ماجئت لانقض ، بل لاكمل » ، ثم أخذ يعلمهم ، فقال : « سعتم  
انه قيل عين بعين ، وسن بسن ، واما انا فاقول لكم لاتقاوموا  
الشر ، بل من لطمك على خدك الايمن ، فحول له الآخر ايضا . »  
فالمسيح ، فى هذا الحديث ، يعرض علينا طرفى البداية ، والنهاية  
فالعين بالعين ، والسن بالسن اقرب الى الطبيعة البشرية المبتدئة  
، واما عدم مقاومة الشر فهو غاية فى التسامح ، وهو ادخل فى  
نهايات سير النفس المرتاضة .

ولما كان الاسلام وسطا بين اليهودية ، والنصرانية ، كما يخبرنا  
الله تبارك وتعالى حين يقول : « وكذلك جعلناكم امة وسطا  
لتكونوا شهداء على الناس » فان القرآن قد جاء فى سياقه بالجمع  
بين خصائص اليهودية وخصائص المسيحية ، فاسمعه يقول  
« وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، انه

لا يجب الظالمين » ثم قارن هذا بحديث المسيح السابق تجد ان «جزاء سيئة سيئة مثلها» تعبير شامل لقول التوراة الذي حكاه المسيح «عين بعين ، وسن بسن » وتجد ايضا قوله « فمن عفا ، واصلح فاجره على الله » ابلغ في التسامح من قول المسيح « لاتقاوموا الشر » الوارد في هذا الحديث ، وان كان للمسيح حديث اخر يرتفع الى مستوى «فمن عفا واصلح فاجره على الله» وذلك حيث يقول : « احبوا اعداءكم ، باركوا لاغنيكم • احسنوا الى مبغضيك • وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ، ويطردونكم • »

## الاسلام رسالتان

وكون الاسلام وسطا بين طرفين ، وجامعا لخصائص الطرفين ، من البداية والنهاية، جعل الاسلام نفسه ذا طرفين ، طرفا اقرب الى البداية ، وطرفا اقرب الى النهاية • ويلاحظ هذا بوضوح ، عند قراءه الاية السابقة، ومثيلاتها ، في القرآن ، ولهذه الظاهرة معنى بعيد الاثر، وذلك ان الاسلام ، كما هو في القرآن ، ليس رسالة واحدة ، وانما هو رسالتان : رسالة في طرف البداية ، او هي ما يلي طرف اليهودية • ورسالة في طرف النهاية أو هي ما يلي طرف المسيحية • وقد بلغ المعصوم الرسالتين معا ، بالقرآن ، وبالسيرة التي سارها بين الناس ، ولكنه فصل الرسالة الاولى في تشريعه، واجمل الرسالة الثانية، اللهم الا ما يكون من امر التشريع المتداخل بين الاولى والثانية ، فان ذلك يعتبر تفصيلا في حق الرسالة الثانية ايضا ، ومن ذلك ، بشكل خاص، تشريع العبادات جميعة • • وظاهرة الرسالة الاولى انها تبدا بقول « لا اله الا الله »

محمد رسول الله»، وتنتهى بقول «لا اله الا الله، محمد رسول»  
 فهي كالصورة الفوتغرافية الثابتة، الا قليلا، واما ظاهرة  
 الرسالة الثانية فانها تبدأ بقول «لا اله الا الله، محمد رسول الله»  
 وتنتهى بقول «لا اله الا الله» المجردة، فهي كالفلم السينمائي  
 يتحرك من بداية الى نهاية، في تطور مستمر. ومعنى تجريد  
 الشهادة معرفة مكانة الله، من مكانة محمد. وهو تمام التوحيد  
 والله تعالى يقول لنبيه الكريم: «وانزلنا اليك الذكر لبين  
 للناس ما نزل اليهم، ولعلمهم يتفكرون.»

والمناهل في هذه الآية الكريمة يدرك كيف ان الاسلام رسالتان،  
 فان اول الآية: «وانزلنا اليك الذكر» يعنى الرسالتين معا، الاولى  
 والثانية. ووسط الآية: «لتبين للناس ما نزل اليهم» يشير الى  
 تفصيل الرسالة الاولى التى هى، كما قلنا، اقرب الى جانب  
 البداية، وآخر الآية: «ولعلمهم يتفكرون» يشير الى محاولة  
 الارتفاع من الرسالة الاولى، الى مستوى الرسالة الثانية،  
 وذلك بأفقان العبادة التى اختطها الله، تبارك وتعالى، للمسلمين،  
 او قل ان اردت الدقة، «للمؤمنين».

### أمة الرسالة الاولى المؤمنون

وحين يسمى القرآن المسلمين في مرحلة الرسالة الموسوية «يهودا»  
 ويسمى المسلمين في مرحلة الرسالة العيسوية «نصارى»،  
 يسمى المسلمين في مرحلة رسالة محمد الاولى «المؤمنين». أو  
 «الذين آمنوا» اسمعه: «قل يا أهل الكتاب لستم على  
 شيء حتى تقيموا التوراة، والانجيل، وما أنزل اليكم من

ربكم ، وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ،  
فلا تأس على القوم الكافرين \* ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ،  
والصابئون ، والنصارى ، من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وعمل صالحا ،  
فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون »

واسمعه ايضا : « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ،  
والصابئين ، من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم  
اجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

والتفاوت بين مراحل الاسلام المختلفة : في الموسوية ،  
والعيسوية ، وفي رسالتى محمد ، انما هو تفاوت مقدار ، هو  
ترق من بداية غليظة ، بليدة جافية ، الى نهاية رفيعة ، ذكية ،  
رقيقة ، ويعكس لنا هذا الترقى التشريع المنزل بين البداية  
والنهاية ، فانه ، مما لاشك فيه ، ان التشريع ، سواء كان تشريع  
عادة ، او تشريع عبادة ، انما هو منهاج تربوى ، يرتفع  
بالمجتمعات ، وبالأفراد ، من الغلظة ، والجفوة ، الى اللطف ،  
والانسانية ، وكلما كان الناس غلاظ الاكباد ، بليدى الحس ،  
كلما شدد عليهم فى التشريع وكبلوا بالقيود والاثقال ولو ان الناس  
رعوا ما عليهم ، حق رعايته ، لما اعتسوا فى امر من امورهم .  
والله تعالى يقول : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم ، وآمنتم ؟  
وبكان الله شاكرا عليما » لكن حاجة الناس الى الترويض هى  
التي حرمت المحرمات ، وعزمت العزائم ، وجاءت المحرمات ،  
والعزائم ، وفق الحاجة اليها . فحين كان الاسلام فى طور

اليهودية ، وحين كان الناس غلاظا ، جفاة ، قال الله تعالى عنهم :  
 « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ، وبصدهم  
 عن سبيل الله كثيرا ، واخذهم الربا ، وقد نهوا عنه ، وأكلهم  
 أموال الناس بالباطل ، وأعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما » .  
 وقال عنهم : « واذا قال موسى لقومه يا قومى انكم ظلمتم  
 انفسكم باتخاذكم العجل ، فتوبوا الى بارئكم ، فاقتلوا انفسكم ،  
 ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب  
 الرحيم » .

### الناس مخفف عليهم كلما عقلوا

وحين بلغ الاسلام طور رسالة محمد الاولى قال تعالى : « قل  
 لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه ، الا ان يكون  
 ميتة ، أو دما مسفوحا ، أو لحم خنزير فانه رجس ، أو فسقا  
 اهل لغير الله به . فمن اضطر ، غير باغ ولا عاد ، فان ربك  
 غفور رحيم » .

وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم  
 بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا انفسكم ،  
 ان الله كان بكم رحيم » .

فقد رد المحرمات على الامة المحمدية ، الى اربعة ، كلها خبيث ،  
 ثم تجاوز ، حتى عن هذه الاربعة للمضطر ، اذا لم يكن باغيا ،  
 ولا غاديا ، فى حين انه شدد على اليهود . حتى فى الطيبات .  
 وقال للامة المحمدية : « ولا تقتلوا انفسكم ، ان الله كان بكم  
 رحيم » . فى حين انه قال تعالى لليهود : « فتوبوا الى بارئكم ،

فاقتلوا انفسكم • « والمقصود ، بالطبع ، القتل الحسى •

## الحرمة الحسية مجاز لتثقية السلوك

ثم يطرد هذا التفاوت ، بين التشديد • والتضييق فى القاعدة ، والترخيص والتوسيع فى القمة ، حين يبلغ الاسلام بالناس طور رسالة محمد الثانية ، وهى قمة الاسلام ، ونهاية المطاف ، تقريبا ، فينتقل التحريم ، من الاعيان المحسوسة ، الى صور السلوك المعنوية • فاسمع القرآن الكريم يقول « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا ، واشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » \* قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة ، كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون \* قل انما حرم ربى الفواحش ، ما ظهر منها ، وما بطن ، والاتم ، والبغى بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون • « ويقول : « وذروا ظاهر الاثم ، وباطنه ، ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يفترون • » فاذا المحرم حقا ، وفى آخر الامر ، هو عيب السلوك ، ونقص الاخلاق ، وانما حرم المحسوس كوسيلة الى تحريم عيوب السلوك المعنوية ، وذلك على القاعدة الحكيمة فى التربية ، والتعليم التى تطالعنا بها الآية الكريمة : « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟ » •

ولقد سبق القول بان رسالة محمد الثانية تجيء اقرب الى جانب النهاية ، منها الى جانب البداية ، او هى مما يلى النصرانية •

والآيات الكثيرة التى تعنى بعيوب السلوك، والتى اوردت لكم منها نموذجا هنا ، أدخل فى رسالة محمد الثانية ، منها فى رسالته الاولى ، وهى تذكرنا بايات من اقوال المسيح . فقد قال فى الاصحاح الخامس ، من انجيل متى مايلى ، : « قد سمعتم انه قيل للقديماء لاتزن ، واما انا فاقول لكم ان كل من ينظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها فى قلبه . » وقال ايضا لتلاميذه : « اسمعوا ، وافهموا ، ليس مايدخل الفم ينجس الانسان ، بل ما يخرج من الفم ، هذا ينجس الانسان . » يشير الى ان النجاسة الحسية، من التبول، والتفوف، لانتجس الانسان، واما تنجسه اخطاء اللسان . « وان تقولوا على الله ما لاتعلمون » كما يقول القران ، فى الاية الماضية . او « اذ تلقونه بالسنتكم ، وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هينا ، وهو عند الله عظيم . » كما يقول القران ايضا فى موضع آخر . وعندما ينسحب التحريم من الصور الحسية الغليظة ، الى الصور المعنوية الدقيقة ، فى عيوب السلوك والسيرة ، يواصل هذا الانسحاب حتى يصل خفايا السريرة ، وما يحوك فيها من خواطر الاثم ، كما تحدثنا الاية الكريمة ، التى سبقت الاشارة اليها : « واذروا ظاهر الاثم وباطنه » . ومع ان ترك ظاهر الاثم جاء بمكان الوسيطة ، والغاية منه ترك باطن الاثم ، الا أن رسالة محمد الاولى قد تجاوزت عن باطن الاثم لانه لم يكن الوقت يومئذ ناضجا لتحريمه ، وفى حديث نبوى شريف ان النبى قال : « ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به نفوسهم ، حتى يقولوا ، او يعملوا . » او كما قال

## لكل معنى شكل هرمي

وليس هناك شك في ان لكل معنى حسا، وبتعبير آخر ، فان للمعاني شكلا هرميا ، له قاعدة، وقمة، وكلما دق المعنى، دق الحس ، او قل كلما دق الشكل الهرمي دقت قاعدته، تبعا لذلك وعلى نفس هذا الاعتبار لكل سريرة ، سيرة ، وكلما تنقت السريرة ، كلما استقامت السيرة ، لان الخطيئة انما تبدأ في السريرة ، اولا ، أو قل في الفكر ، ثم تخرج الى السيرة ثانيا ، أو قل الى صور السلوك المحسوسة ، بين الناس .

## اسلوب القرآن في التربية فريد

وأسلوب القرآن في شفاء الناس من الخطيئة أسلوب عكسي يبدأ من الخارج ، ويسير الى الداخل ، « سريهم آياتنا ، في الافاق ، و في أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق » وهو أسلوب غاية الغايات في الدقة ، والحكمة ، ويفضى بالذين يتقنونه الى الاسلوب الصحيح ، وهو الاسلوب الطردى ، الذي يبدأ من الداخل ، ويسير الى الخارج . والى هذا الاشارة اللطيفة ، في الاية السابقة ، حين قال ، جل من قائل ، « أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟ » وكلما تنقت السريرة ، كلما استقامت السيرة ، فضاقت دائرة المحرمات ، لذلك ، واتسعت دائرة المباحات ، على قاعدة الاية الكريمة : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ؟ وكان الله شاكرا عليما » فاذا أستمّر السير بالسائر الى نهايته المرجوة ، وهى نقاء السريرة ، واستقامة السيرة ، تماما ، عادت جميع المحسوسات الى أصلها من الحل



وأنطبقت الآية الكريمة : « ليس على الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، جناح فيما طعموا ، اذا ما أتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصالحات ، ثم أتقوا وآمنوا ، ثم أتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » وهذه مرتبة من الكمال تؤدي اليها رسالة محمد الثانية ، حين قصرت عنها رسالته الاولى

### **أمة الرسالة الثانية المسلمون**

ولقد طال الحديث عن رسالتي محمد، وقلنا انه بلغهما جميعا في معنى ما بلغ القرآن ، وسار السيرة ، ولكنه اجمل الثانية اجمالا ، وفصل الاولى ، تفصيلا ، وأوردنا الآية الكريمة في ذلك : « وأفضلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ، ولعلهم يتفكرون » وقلنا أن الرسالتين مشتملتان ، ومبلغتان في : « وانزلنا اليك الذكر » ، ولكن الرسالة الاولى ورد الامر بتفصيلها في « لتبين للناس ما نزل اليهم » فسا « أنزل » وهو أدخل في الرسالة الثانية ، قوله تعالى « يسألونك ماذا ينفتقون؟ قل العفو !! » وعليها ، وعلى غيرها ، أنبنى النذب الى الصدفة في الرسالة الاولى ، ومما « نزل » ، وهو أدخل في الرسالة الاولى « خذ من أموالهم صدقة ، تطهرهم ، وتزكهم بها ، وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم » وعليها انبنى تشريع الزكاة فيها ، ومما « أنزل » وهو أدخل في الرسالة الثانية، قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله ، حق تقاته ، ولا تسوتن الا واتم مسلمون » وتلك مرتبة المسلمين ، فلما لم يطبقوها « نزل » عليهم : « فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا ، وأطيعوا

والنهاية ، وقد بدأ يوم بدأ الصراع بين ارادة الحياة، وأراده الحرية ، وهو ما اسميه بنشأة العرف ، وهذه الفكرة لا تزال تواصل سيرها ، وستبلغ نهايتها على هذا الكوكب يوم يحقق الافراد البشريون السلام ، كل مع نفسه، وذلك بتسليم ارادتهم المحدثه ، الى الارادة القديمة . وسنعود الى هذه العبارة في نهاية هذه المقالة . ولتقرير ان الاسلام ، كدين في عمر البشرية ، فكرة واحدة ، كبيرة ، تشمل البدايةوالنهاية، يمكن ان ننظر في الاسلام في عمر الفرد البشرى ، فانه من المقرر ان حياة الفرد البشرى تحكى ، بصورة عاجلة ، حياة النوع كله . فالاسلام ، في عمر الفرد البشرى ، يبدأ بالقول باللسان ، والعمل بالجوارح ثم يترقى حتى يصبح ادعانا واعيا، وانقيادا راضيا، بارادة الله وحسن تديره . واول مراتب ترقيه ، بعد الاسلام ، الايمان، ثم الاحسان بمراتبه الثلاث ثم الاسلام من جديد وهذه الايات الكريمة تفيدها في هذا الباب « قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا اسلمنا ، ولما يدخل الايمان في قلوبكم » . فالاسلام هنا هو البداية التى هى مرحلة دون مرحلة الايمان . ثم اسمع هذه الاية الكريمة : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ، حق تقاته ، ولا تموتن الا وאתم مسلمون » والاسلام هنا هو نهاية المطاف ، ولقد نذب اليه المؤمنون فلم يطيقوه . فلما بدأ عجزهم خفف الله عنهم فنزل « فاتقوا الله ما استطعتم ، واسمعوا واطيعوا » فاستبدل لهم تقوى الله حق تقاته بما يطيقون ، واستبدل لهم الاسلام ، الذى هو تسليم الارادة المحدثه الى

محمد الثانية ستجىء أقرب الى جانب النهاية ، منها الى جانب البداية ، أو هي مما يلى النصرانية ، والحق أن الشبه النظرى بين وصايا المسيح ، ووصايا القرآن ، فى الرسالة الثانية ، كبير ولكن الفرق العملى أكبر ، فإن المسيح حين أوصى بتلك الوصايا الرفيعة ، لم يقم نظاما اجتماعيا ، ولا نظاما حكوميا ، يجعل تحقيق تلك الوصايا امرا ميسورا للأفراد ، واما الاسلام فانه ، حتى برسائله الاولى ، قد أقام نظاما اجتماعيا ، ونظاما حكوميا فيهما من التكافل ، والاسماح ، ما يجعل الفرد يستشرف ، استشرافا عمليا ، لتحقيق بعض وصايا القرآن الرفيعة . ونحن الآن نستقبل عهدا جديدا فيه نريد لأفراد مجتمعنا أن يحققوا كل وصايا القرآن ولذلك نسعى لإقامة نظام اجتماعى ونظام حكومى ، أرقى مما كان لدينا فى عهد الرسالة الاولى ، وهذا هو ما عنيناه بأعداد المسرح الذى وردت الإشارة اليه آنفا .

## الرسالة الثانية المساواة الاقتصادية

لقد آن الاوان لتفصيل الرسالة الثانية ، وذلك بالنظر فى تكميل تشريع الرسالة الاولى ، بتطويره ليحقق قسطا أكبر من الهدف الدينى ، والعمدة فى التطوير أمران ، حاجة المجتمع الحاضر ، وروح الاسلام ، كما كان يعيشها المعصوم . فاما روح الاسلام ، كما كان يعيشها المعصوم ، فهي الحرية الفردية المطلقة ، واما حاجة المجتمع الحاضر فهي العدالة الاجتماعية الشاملة ، ولا تتم العدالة الاجتماعية الشاملة إلا اذا قامت

على ثلاث مساويات : المساواة الاقتصادية ، والمساواة السياسية  
والمساواة الاجتماعية ، فأما المساواة الاقتصادية ، فهي أن يكون  
هناك حد أعلى لدخول الافراد ، وحد أدنى ، على أن يكون  
الحد الأدنى مكفولا لجميع المواطنين ، بما في ذلك الاطفال،  
والمعاجز ، والعاجزين عن الانتاج ، وأن يكون كافيا ليعيش  
المواطن في مستواه معيشة تحفظ عليه كرامته البشرية ، والا  
يكون الفرق بين الحد الأدنى ، والحد الأعلى ، أكبر من سبعة  
الاضعاف ، حتى لا يكون هناك تفاوت طبقي ، يجعل الطبقة  
العليا تستنكف أن تتزاوج مع الطبقة السفلى، وتحقق المساواة  
الاقتصادية بالاشتراكية ، وهي عبارة عن زيادة الانتاج،  
باستخدام الالة ، وبتجويد الخبرة الادارية ، والفنية، ثم عدالة  
توزيع هذا الانتاج ، على الاسس التي سبق ذكرها ، ولا تقوم  
الاشتراكية الا على تحديد الملكية الفردية بما لا يتعدى الى  
وسائل الانتاج . فـللمواطن ان يملك المنزل ، والحديقة حوله،  
والاثاث داخله ، والسيارة وما الى ذلك ، مما لا يتعدى الى  
ملكية الارض ، أو المصنع ، أو أى من وسائل الانتاج ، وحتى  
في هذه الحدود الضيقة ، تكون الملكية ملكية ارتفاق لملكية  
عين . وهذا يعنى أن ينتقل التشريع من آية الزكاة الصغرى  
« خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم »  
الى آية الزكاة الكبرى « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو!! »  
و « العفو » كل ما زاد عن حاجتك الحاضرة ، من غير ادخار،  
ولا كنز ، وهذا ما كان يفعله المعصوم ، وهو روح الاسلام،

ويجب أن يكون مفهوما ، فإن الملكية الفردية تحدد بإحداها  
به ، لتكون الملكية للجماعة ، لا للدولة ، وفي ذلك احتراز من  
نشوء الحكومة المركزية ، القوية ، ذات الإدارة المتشعبة ،  
الكبيرة المتغولة ، التي تفوت على الناس فرص المساواة  
السياسية في سبيل المساواة الاقتصادية . فالملكية للجماعة ،  
تدار بأساليب التعاون ، يقوم فيها الناس بخدمة أنفسهم ،  
لا ينتظرون من الدولة إلا التدريب المهني والإداري ، والمثورة  
الفنية ، والإشراف العام للنسق للتعاون بين أجزاء القطر  
المختلفة ، وكل أمر يستطيع الناس أدائه بدون توسط الدولة  
يترك لهم أدائه ، ويتبع المساواة الاقتصادية المساواة في جميع  
انقرص وجميع الحقوق

### **المساواة السياسية والمساواة الاجتماعية**

وأما المساواة السياسية فإن يكون لكل مواطن ، ومواطنة ،  
فوق سن العشرين مثلاً ، حق اختيار من يقومون بإدارة  
حكومتهم المحلية ، والمركزية ووسائلهم الإنتاجية ، على نحو  
متساو . فإذا ما تمت المساواة الاقتصادية ، والمساواة السياسية  
فإن المساواة الاجتماعية تصبح كالنتيجة ، التي تتبع المقدمة .  
اللهم إلا مسائل يسيرة تتوقف على الرأي العام في المجتمع ،  
وحتى هذا فإن المقدمات التي تنتج عن المساواة الاقتصادية ،  
والمساواة السياسية ، تجعله يتبع ، بعد حين ، يطول ، أو يقصر ،  
ولكنه يأتي ، على التحقيق ، وسيكون من واجب الدولة توجيه  
التطور وحفزه ، وذلك بالتعليم ، والتثقيف حتى يكتسب

الرأى العام حرية ، واسماحا ، يجعلانه لا يضيق بأنماط السلوك المختلفة ، مادامت هذه الانماط تتسامى الى الرفعة والتجويد.

## **العبادة فى الرسالة الثانية الزم منها فى الرسالة الاولى**

والدولة ، بالتعليم المهنى ، والفنى ، والدينى ، وبالتثقيف العام والحرىات العامة ، تعين الافراد أعانة كبيرة ، ولكن هناك حدا يبدأ فيه الافراد مجهودهم الفردى فى التربية ، والاسلام يقدم المنهاج التعبدى المنقول عن المعصوم ، وهو أكمل منهاج تعبدى عرفته البشرية ، وهو فى الرسالة الثانية الزم منه فى الرسالة الاولى ، وذلك لان العقل البشرى المعاصر أكثر تطوعا الى الحرية منه فى أى وقت سلف ، ولان الحرية ما اليها من سبيل الا عن طريق تقليد المعصوم ، فى منهاج عبادته ، وكل ما هناك من فرق بين الموقفين : موقف العبادة فى الرسالة الاولى ، وموقفها فى الرسالة الثانية ، أن الافراد البالغين ، الرشيدىن ، لا يحملون عليها بالقسر والاكراه وانما يحملون عليها بالقنوة والاقناع ، « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى » والسبب فى ذلك أنه ، فى الرسالة الثانية ، كل شىء وسيلة الى انجاب الفرد الحر ، حرية مطلقة - المجتمع ، والاسلام والقرآن - والعبادات من باب أولى . فاذا ما قهرنا الفرد ، وحصلناه على العبادة بالقسر ، والاكراه نكون قد جعلنا الوسيلة تهزم الغاية منها ، وهو وضع معكوس بطبيعة الحال .

## الترقى بين الرسالتين

ان كل فرد يبدأ بالاسلام الذى هو مجرد الشهادة باللسان،  
والعمل بالجوارح فى تقليد النبى ، ثم يتمكن التصديق من  
قلبه ، بتوكيد العمل ، فيصير مؤمنا ، ثم يزيد الايمان ، فيدخل  
فى طرف الاحسان ، الغليظ ، ثم يترقى فى مراحل الاحسان .  
وقد سئل المعصوم عن الاحسان فقال « الاحسان أن تعبد الله  
كأنك تراه ، فأَنْ لَمْ تكن تراه فإنه يراك » فهذه ثلاث مراحل .  
المرحلة الاولى مما يلى الايمان وهى ان يؤمن السائر بـ الله  
الله يراه ، وهو ما عبر عنه النبى بقوله « فإنه يراك » والمرحلة  
الثانية تأتى بعد ذلك ، حين يقوى الايمان بالمرحلة الاولى ، وهى  
أن يبدأ يقين السائر بأنه يرى الله ، وهو ما عبر عنه النبى  
« كأنك تراه » ثم المرحلة الاخيرة ، وهى أن يرى السائر الله  
وهو ما أشار اليه النبى بقوله « فَأَنْ لَمْ تكن تراه » ولذلك قال  
بعض العارفين « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم  
تكن ، فانك تراه » يشير بذلك الى أن الانسان محجوب بأوهام  
نفسه ، عن الله فان فنى عنها ، فانه يرى الله . ورؤية الله هى  
مرتبة الاحسان التى هى قمة الاسلام ، واليها الاشارة فى قوله  
تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع  
المحسنين » واليها الاشارة أيضا بقوله تعالى « ليس على الذين  
آمَنوا ، وعملوا الصالحات ، جناح فيما طعموا ، اذا ما اتقوا ،  
وآمَنوا ، وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا ، وآمَنوا ، ثم اتقوا ،  
وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » فاذا بلغ السائر مرتبة

الاحسان هذه، فقد أصبح مسلماً في المستوى المقصود بقوله تعالى: «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن» وأتبع ملة إبراهيم حنيفاً؟ وأتخذ الله إبراهيم خليلاً • وبقوله تعالى: «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن، فقد استمسك بالعروة الوثقى» فإن جميع المخلوقات مسلمة وجهها إلى الله، ولكنها غير محسنة، أي غير عالمه بذلك • والقرآن يحدثنا باستسلام جميع المخلوقات، فيقول: «ولله يسجد من في السموات، والأرض، طوعاً وكرها، وظلالهم بالغدو والاصال •» ويقول: «إني توكلت على الله، ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها، إن ربي على سراط مستقيم» ويقول «وان من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم •»

### الاسلام علم وعمل بمقتضى العلم : والا فلا

وفي الاسلام العلم معناه العمل وإي علم لا يستبع العمل فهو علم ناقص، ولذلك فإن مرتبة الاحسان مرتبة تقتضى الاستسلام، الراضى، بإرادة الله، الهادية، ومعنى ذلك فى الحياة اليومية ان الانسان يعمل الواجب المباشر، جهد الاتقان، والاحسان، فان جاءت النتيجة وفق ما يريد فذاك، ولله الحمد، وان جاءت النتيجة على خلاف ما يريد، جعل ارادته تابعة لإرادة الله وحده، ورضى بإرادته، ثقة به، وإيثارا له، فان لم يقدر على الرضا، ففى الصبر خير كثير، وليس وراء الصبر إلا السخط، وكل ساخط معذب • ويحضرني، فى هذا، حديث قدسى طريف، فانه



قيل ان الله ، تبارك ، وتعالى ، قال لداود « يا داود ! أنك تريد ،  
واريد ، وانما يكون ما اريد ، فان سلمت لما اريد ، كهيتك ما  
تريد ، وان لم تسلم لما اريد ، اتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون  
الا ما اريد »

فالصبر على ارادة الله مرتبة من الاحسان في طرف البداية ،  
والرضى بارادة الله مرتبة من الاحسان رفيعة . قال تعالى لنبيه  
الكريم : « فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك ، قبل  
طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، ومن آفاء الليل فسبح ، واطراف  
النهار ، لعلك ترضى . » فهو يأمره بالصبر على الارادة الالهية  
حين تجرى بما لا يريد ، ويهديه الى الحمد ، ويرشده الى  
الاستعانة على الصبر والحمد بالصلاة ، ويمنيه الرضا ، « لعلك  
ترضى » ، برضا الله عنك ، ومن رضى الله عنه غمره بالالطاف ،  
واغدق عليه الفيوضات، وجعله مستغرقا في لحظته التي هو فيها،  
غير مشغل بالمستقبل بالتمنى ، ولا بالماضى بالاسف . ومن كان  
كذلك فهو الحر ، المطلق الحرية .

### **التوفيق بين حاجة الفرد وحاجة الجماعة**

قلنا، عند الحديث عن نشأة المجتمع البشرى، وفي نفس الوقت  
الذى خدم فيه العسرف الاول الفسرد ، بان قوى  
ارادته وسيطرته على نفسه ، خدم المجتمع  
بان صان حقوقه وجعل تماسكه وتضامنه  
ممكنا ، فكان المجتمع البسيط ، في حدوده البسيطة ، قد  
وفق بين حاجة الفرد ، وحاجة الجماعة . ومنذ ذلك اليوم ،

والى يوم الناس هذا ، لم يستقم ميزان التوفيق بين هاتين  
الحاجتين ، فى اى فلسفة اجتماعية معاصرة ، أو سالفة ، ولكن  
الاسلام ، فى أعلى مستويات المجتمع المعقده ، يقدم صورة  
متقنة من هذا التوفيق الدقيق .

اسلفنا القول بان حاجة الفرد البشرى هى الحرية ، الفردية ،  
المطلقة . ونقرر الان ان حاجة المجتمع هى ان يصبح اداة ، صالحة  
لتحقيق الفرد الحر ، حرية مطلقة ، ذلك بان المجتمع وسيلة الى  
هذا الفرد ، وكل ما يمكن الوسيلة من تحقيق غايتها فهو من  
حاجتها وقد خططنا المجتمع المقبل قبل قليل فى هذه العجالة وتحدث  
الان عن الفرد الحر حرية مطلقة .

### **الفرد الحر حرية فردية مطلقة**

وليس هناك ادنى شك انه ، بعد كل ما يقال عن المجتمع ،  
ومساعدته للفرد ، فان الفرد ، فى آخر المطاف ، لا يمكن ان  
يتحرر الا بمجهوده الفردى ، ذلك بانك يمكنك ان تؤمن حياة  
الفرد من الخوف ، ومن الفقر ، ومن الجهل ، ومن المرض ،  
وستبقى بعد كل هذا العقد النفسية الموروثة والمكتسبة - العقد  
الموروثة منذ فجر الحياة الانسانية ، حين بدأ المجتمع ، وواجبت  
على الافراد الواجبات - وهى عقد لا حد لها ، وان كانت حدثها  
تقل كلما ارتقى المجتمع وقلت ، تبعاً لرقية ، العقد المكتسبة  
فى حياة الفرد البشرى . . فان هذه العقد النفسية ، بنوعها  
هى غول الحرية ، لانها قسمت الشخصية البشرية الى ظاهري ،  
يرضى مقاييس المجتمع ، والى باطن ، لو اطلع عليه الناس

لتقاطعوا ، وتدابروا .. فهذه القسمة المنكرة ، فى الشخصية البشرية ، هى التى تحتاج الى المجهود الفردى لتلتئم ، وتكون بالتئامها كلا واحدا ، متكاملا ، فانه ، كما قال المسيح ، «البيت المنقسم لا يقوم»

وقد سلف القول بان القرآن ، والعبادات الماثورة عن المعصوم ، هى وسيلة تنفيس هذه العقدة ، فان تقليد النبى فى اسلوب حياته ، تقليدا متقنا ، يفتح مغاليق القرآن • وفهم القرآن يرسل النور فى سراديب العقل الباطن ، حيث تكبل الرغائب السجينة من ملايين السنين ، بعيدة عن النور ، والحرارة ، والحياة ، وكلما تغلغل النور فى تلك السراديب ، كلما انبعثت الشخصية البشرية ، حرة ، طليقة ، كأنما نشطت من عقال • ويجب ان يكون مفهوما ، ان تقليدنا محمدا ليس نهاية القوة الخلاقة ، المودعة فىنا ، وانما تقليدنا اياه ، تقليدا متقنا ، وسيلتنا للتحرر عن التقليد ، لان عبادتنا ان هى الا وسيلة لتحقيق فرديتنا ، التى لا يشابهنا فيها اى فرد ، من افراد القطيع البشرى ، والتقليد ، فى ارفع صورته ، وعلى خير مايكون ، انما هو انكار للفردية • ولا تحقق الفردية بانكارها ، بالطبع • • فكما ان الكبت ، فى اول اطوار النشوء البشرى ، وسيلة الى التحرر من الكبت ، فى اعلى مراقي هذا النشوء ، فكذلك التقليد ، فى اول طريق السالك المجود ، وسيلة الى التحرر عن التقليد ، عند الاستواء • وكل سالك طريق الحرية يبدأ بالاسلام ، ثم يرتفع الى الايمان ، ثم يرقى فى مراقي الاحسان المختلفة ، كما بينا ذلك قبل حين ،

حتى ينتهى الى الاسلام ، مرة ثانية . . . والقرآن يخاطبه ، فى كل مقام من مقامات سيره ، خطابا فرديا ، فمثلا عندما يقرأ السالك المجود قوله تعالى « لمن شاء منكم ان يستقيم » وما تشاعون الا ان يشاء الله ، رب العالمين » يفهم منها ، فى اول الطريق ، ان له مشيئة مستقلة بالاستقامة ، او الالتواء ، فيجتهد فى الاستقامة ، فى تشمير ، وجد ، فاذا فضجت تجربته ، واستوى ، يعلم ، يقينا ، انه لا يملك ، مع الله ، مشيئة ، ويصبح الخطاب فى حقه « وما تشاعون الا ان يشاء الله ، رب العالمين » مع فهم اكد للحكمة فى قوله تعالى « لمن شاء منكم ان يستقيم » وتصبح هذه القولة ، فى حقه ، منسوخة بالقولة الثانية . . .

### الصلاة الشرعية

والخطاب بالصلاة وارد هكذا فى القرآن : « اتل ما اوحى اليك من الكتاب ، وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر ، والله يعلم ما تصنعون . » و « ذكر الله » القرآن ، وقد قلنا ان الصلاة وسيلة الى فتح مغاليقه ، ولذلك قال « ولذكر الله اكبر » . . . وكل العلم موجود فى قوله تعالى فى آخر الاية « والله يعلم ما تصنعون » ، وهى اشارة الى تمام التسيير الذى باستيقانه يتم الاسلام . . . وقال تعالى مخاطبا المؤمنين : « فاذكرونى اذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون » يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر بالصلاة ان الله مع الصابرين « استعينوا بالصبر ، والصلاة » يستعينون على ماذا ؟ على الرضا بارادة الله ، كما سبق القول عن آلاية

« فاصبر على ما يقولون ، وسبح بحمد ربك ، قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها ، ومن آتاء الليل فسبح ، واطراف النهار ، لعلك ترضى »

وقال تعالى، مخاطبا المؤمنين « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » ومعنى « موقوتا » هنا ، انها ، على المؤمنين فرض له اوقات يؤدي فيها ، فاذا ارتفعوا بها ، وبالعبادات ، والاعمال جميعا ، وبالقرآن ، عن مرتبة الايمان ، الى مرتبة الاحسان ، حيث يرون الله ، تبارك ، وتعالى ، فقد اصبحوا أكثر من مؤمنين - اصبحوا مسلمين - واصبح عليهم ان يقلدوا الله ، لا ان يقلدوا محمدا ، كما قال المعصوم « تخلقوا باخلاق الله ، ان ربى على صراط مستقيم » واصبح معنى « كتابا موقوتا » فى هذه الحالة ، انها فرض له وقت ينتهى فيه • ويجب ان يلاحظ ان انتهاءها لا يكون تشريعا عاما ، لان تلك مرتبة فردية ، لا مرتبة عموم • ولرب قائل يقول ، ولماذا لم تنته الصلاة بمحمد ؟؟ والجواب هو ان محمدا ليس مقلدا وانما هو اصيل ، وكل من عداه مقلد له • وهو فى اصلته يستطيع ان يحقق فرديته باسلوب الصلاة ، كما يطلب كل منا ان يحقق فرديته بطريق خاص يفتح له لسياحة حياته ، وفق الحق والصدق • ولقد اشار القرآن الى تحقيق النبى الكريم لفرديته بقوله تعالى « ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » وهذا المقام المحمود هو الذى قامه يوم عرج به ، وافتهى الى سدره المنتهى ، حيث قال

الله فيه « ما زاغ البصر وما طغى » • « ما زاغ البصر » أى ما ارتد الخاطر الى الماضى ، « وما طغى » أى ما امتد الى المستقبل ، يشغل به ، وانما استغرقته اللحظة الحاضرة ، بالشهود ، والرؤية فكأنه كان وحدة ذاتية، فى وحدة مكانية ، فى وحدة زمانية • ولقد فرضت عليه الصلاة فى ذلك المقام ، ولما عاد الى طبيعته البشرية اصبحت الصلاة معراجا يوميا له ولايته ، الى ذلك المقام الرفيع الذى قامه بين يدى الله ، تبارك ، وتعالى ، ولما كان هذا المقام هو مقام تحقيق الفردية ، أو قل ، مقام وحدة الذات البشرية ، وهذا المقام مطلوب من كل مسلم ان يسعى اليه ، فقد اصبحت الاصاله والتحرر من التقليد ، فى اخريات السير اليه ، امرا لامناص منه • •

## وحدة الوجود

قلنا ، فى صدر هذا السفر ، انا نريد ان نرى ، هل يستطيع العلم التجريبي الروحى ان يرد ظواهر الاخلاق البشرية الى اصل واحد ، كما رد العلم التجريبي المادى ظواهر الكون المادى الى اصل واحد ، فيتم بذلك الاتاق ، والتلاؤم ، بين الاخلاق البشرية ، والسلوك البشرى ، وبين البيئة المادية التى يعيشون فيها ، وينتهى بهذا التلاؤم ، هذا النشور الذى بدد الماسعى البشرية ايدى سبا ، وقطع ارحام الانسانية بين الناس؟ ولعله قد اتضح ، شيئا ما ، ان الاسلام يقوم ، من الوهلة الاولى ، على تسليم الارادة البشرية المحبذة الى الارادة

الالهية القديمة « ومن يسلم وجهه الى الله ، وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى • » وتجربتي الخاصة لم تدع لى مجالا للشك فى صحة هذا الامر ، ومن ثم فانه عندى ان جميع ظواهر السلوك البشرى ، من خير وشر ، يرجع الى اصل واحد هو « ارادة الله القدير » • وفى الحق ، ليس الشر اصلا ، وانما الاصل الخير ، وما الشر الا نتيجة جهلنا الذى اوهمنا اننا نستقل بارادة ، فاذا ارتفع هذا الجهل بالتجربة الروحية ، فسيصبح عملنا تجويد الواجب المباشر ، والانشغال باحسانه ، وتجويده ، عن التمنى ، والتأسف ، وبذلك نحقق السلام ، كل مع نفسه ، ومن ثم يتحقق فى الارض السلام • •

استمع الى القرآن ، كيف يحدثنا ، ويهدينا الى السلوك البشرى الرصين : « ما اصاب من مصيبة ، فى الارض ، ولا فى انفسكم ، الا فى كتاب ، من قبل ان نبرأها ، ان ذلك على الله يسير \* لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم \* والله لا يحب كل مختال فخور \* الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ومن يتول ، فان الله هو الغنى الحميد »

### حسن الخلق حسن التصرف فى الحرية

وما هى الاخلاق ؟؟ هى ، فى سبحاتها العليا ، حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة ! ولذلك فقد قال المعصوم : « حسن الخلق خلق الله الاعظم » ومن حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة تركك ما لا يعنيك ومما لا يعنيك اللحظة المقبلة ، واللحظة الماضية ، ولا يعنيك الا اللحظة الحاضرة ، فاذا ملاتها بالعمل المشر

المتقن ، ثم سرت بحياتك جميعها مشغلتا ، فقط ، بالواجب  
المباشر ، محسنا له ، جهد طاقتك ، فانك تحرز وحدة شخصيتك ،  
وتنتصر على الخوف ، والقلق ، وتحقق ، مع نفسك ، السلام .  
وتكون حياتك بركة عليك ، وعلى الانسانية جميعا ، من حيث  
تشعر انت ، أو لا تشعر . . فان كل حياة سليمة ، خصبة ،  
تخصب الحياة جميعها ، بمجرد وجودها فيها . .

### خاتمه

اما بعد ، فقد يرى اناس ان هذا الحديث غريب . فلا يعجلوا  
انفسهم ، ولا يصدروا الاحكام ، و ، قبل ان يتهموا انفسهم ،  
يبادروا باتهام الآخرين . فان هذا الحديث حق ، عندي ،  
وصدق ، واني لارجو الله له ، ان يكون حقا ، عنده ، وصدقا  
. . وما ذلك على الله بعزيز .

---

الحزب الجمهوري

امدرمان - الموردة ص ب ٤٦

---